

## ملاحم الشعرية في رواية ربيع الكورونا للكاتب الليبي أحمد شرشاش

### - بين النصي والخطابي -

### مقاربة سوسيونصية في تفاعل الأبنية الثقافية

د. ماجدة حسين الضبيع

جامعة غريان

#### ملخص البحث:

تعكس رواية ربيع الكورونا الواقعي والمتخيّل وترتبط بينهما، كما أنها تجمع بين النص وما حول النص (اللساني والثقافي) وبالتالي فهي تعكس الواقع والحلم، وهي -بذلك- تحوي الأدبي وغير الأدبي، اللغوي والفني التصويري؛ فهي تحتضن في بنياتها نصوصاً ومرجعيات كثيرة أسهمت في تشكيل بنائها الفني، منها ما هو نصي ومنها ما هو ثقافي ومنها ما هو اجتماعي أو لساني.

وقد انطلق فيها الكاتب من خلفية ثقافية كبرى تتمثل في تأثير الوباء على العواطف الإنسانية، وهذه الخلفية تلقي بظلالها على كامل تفاصيل النص، فيكشف القارئ عبرها عن تفاعل الذات مع الموضوع

وكانها-الرواية-بوتقة تنصهر فيها الكثير من جوانب الإبداع بشكل تتسامى فيه الرواية عن الواقع - وإن اتخذته منطلقاً لها- لتتشد تباريح الإبداع والتمازج والتناقض بعيداً عن أية قناعة كسولة.

تنطلق فكرة البحث من تساؤل عميق يمكن صوغه بالآتي:

"كيف اكتسب السرد في رواية ربيع الكورونا سمات الشعرية فتجلى بشكل فني إبداعي لافت ومؤثر؟!"

وتحاول القراءة النصية للرواية الكشف عن وجود نصوص أدبية ومرجعيات ثقافية أكتسبتها تلك السمة البارزة بتفاعلها مع الأبنية الثقافية التي تشكلت حول النص، في ذاكرة الكاتب وخياله وثقافته.

إذ يلج قارئها عبر نبرات راويها فضاءات متشعبة، يلتقي فيها المجتمع البدوي والحضري مع الثقافة متعددة الجوانب والأقطار (الصين وليبيا وتونس)، كما يتمازج في براحها الشعر مع النثر، والواقع مع الحلم، وتتخللها تناصات متعددة المرجعيات، منها القرآني والتراثي والتاريخي والشعري

كما ضمنها الكاتب أشعارا من فيض وجدانه، لتمحو وهم الحدود الفاصلة بين جوانب الإبداع وتثبت ثراء النص الروائي الليبي ومرونته وعمق تأثيره.

تتناص الرواية مع عمليين أدبيين كبيرين هما: قصيدة الكوليرا للشاعرة نازك الملائكة، ورواية الحب في زمن الكوليرا لغابرييل غارسيا ماركيز؛ حيث تذكرنا بهما أحداثها وسرد تفاصيل الحرب والتغيرات، وما تحمله من حيرة ودهشة، وموضوعها الرئيس الذي يجمع بين الحب - بوصفه قيمة عليا - والوباء (وباء الكوليرا ووباء الكورونا ووباء الحب) حيث لا يخبو الحب ولا يخبو النص، بل تزداد توقعاته. حتى يقدم للقارئ عملا فنيا تتشابه فيه الأحداث والمنطلقات فتتشابه اللغة الفنية والأبطال والحوارات والصور تبعا لذلك، ماحية البرازخ الفاصلة بين الشعر والنثر ناهيك عن تضمين الكاتب نصوصا شعرية في الرواية تؤكد ذاك التناغم والاتساق؛ فقد استطاع أن يفتح عبر هذه العلاقة تواؤما بين الشعري الرمزي والنثري السردى.

ففي كل رواية ثمة تفاعلات عالقة لا تتحرر بغير القراءة والتحليل وهذا ما يحاول البحث الكشف عنه من خلال التوجه الآتي:

-مقدمة

تمهيد: الجنس الأدبي والروابط الفنية للكتابة.

أولاً: عرض مفهوم الشعرية، وبيان حوارية النثري والشعري والفضاء التاريخي والثقافي للرواية.

ثانياً: شعرية اللغة الروائية، ونستهلها بتحليل العتبات النصية

دراسة الغلاف، العنوان، الإهداء، والمقدمة والتصدير.

ثالثاً: التداخل النصي وتفاعل الأبنية الثقافية

رابعاً: تركيب ونتائج، ويعرض أهم النتائج التي سيتوصل إليها البحث.

يسير البحث وفق اتباع خطوات المنهج النصي التفاعلي، الذي يشمل السيميائي والنفسي والاجتماعي والتحليلي.

المصطلحات والكلمات المفتاحية:

(النص-التناص-التفاعل النصي-السرد-الشعرية-الأبنية الثقافية)

تمهيد: الجنس الأدبي والروابط الفنية للكتابة:

لقد ظلت الصعوبة قائمة في وضع حدود فاصلة بين الشعر والنثر، وقد أكدت الدراسات على "أسبقية النص النثري، وفق التسمية المعتادة، عما يسمى -بسبب وزنه وقافيته- شعراً، ولكن هل ينفي ذلك حضور الشعر فيه!" (علاء عبد لهادي، قصيدة النثر والتفات النوع، 2009، ص 21)، للإجابة على هذا التساؤل نستذكر نظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن

جمال الكلام وبلاغته راجع إلى " توخي معاني النحو ووضع الكلام بطريقة تركيبية مخصصة (انظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81)، إذن للكلام طريقة خاصة في نظمه هي التي تمنحه إيقاعه ووقعه في النفس، وتلك الخصيصة تعد سمة جمالية تأسيسية كامنة في النص سواء أكان شعرياً أم نثرياً.

والجرجاني بهذا التحديد يضع أسس بناء النص ليكون مؤثراً، وقد فتحت النظريات النقدية الحديثة المجال واسعاً أمام اكتشاف تلك المؤثرات وتطبيقها ف وضعت النظريات النصية الحديثة تعريفاً للنص بأنه (فسيفساء من نصوص أخرى، وهو نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء، (انظر كريستيفا، علم النص، ص21)

والنص بهذه التحديد يحمل سمات شعرية الإنتاجية التي تعطيه كيانه، وهويته، وهو بهذا فضاء تتداخل فيه الأبنية الثقافية والنصوص التي يعيد هو إنتاجها بطريقة مخصصة، وما يخفيه النص في فضائه يعد مساحة من التداخل والتفاعل يكون النص بموجبها محملاً بمجموعة من العلامات والشفرات التي يعيد النص عبرها بناء الواقع والنصوص الأخرى.

فكل ثقافة تنطوي على عناصر ثابتة على وجه التقريب، وعناصر دائمة التحول والتغير، وهذه الثقافة بجانبها -الثابت والمتحول- تمثل بنية كلية لها تشابهاتها واختلافاتها مع غيرها من الثقافات تتفاعل معها سواء على مستوى أنساقها الكلية أم على مستوى الأبنية التحتية، تفاعلاً سطحياً أو عميقاً من خلال عمليات الامتصاص والهضم والتحويل أو أي شكل من أشكال الحضور الفني (انظر: مهدي صلاح الجويدي، 2013، ص66-67).

#### أولاً: عرض مفهوم الشعرية وبيان حوارية الشعري والنثري:

"الشعرية علم موضوعه الشعر، وكلمة شعر كانت تعني جنساً أدبياً يتميز باستعمال النظم" (كوين، بناء لغة الشعر، ص9)، وقد ارتبط مفهوم الشعرية بقدرة العمل الأدبي على إيقاظ المشاعر الجمالية وإثارة الدهشة وخلق الحس بالمفارقة وإحداث الفجوة ومسافة التوتر، والانحراف عن المؤلف" (قطوس، استراتيجيات القراءة، ص201)، وبالتالي فإن كل عمل أدبي هو عمل شعري في المقام الأول، سواء أكان شعراً أم نثراً، وقد فتحت هذه السمة الأفق واسعاً أمام تداخل ميدان التأثير بين الأعمال الأدبية فأضحت تتشابه في وقعها وتأثيرها. كما جعلت من القراءة الفاعلة معياراً لتحديد شعرية النص.

وقد غدا القارئ منوطاً بإيجاد أوجه تشابه كثيرة بين الأعمال الأدبية، ورصد التفاعلات الثقافية والنصية فيها.

وانطلاقاً من هذه الرؤية؛ فإن رواية ربيع الكورونا تزخر بالتفاعلات بين نصها والمرجعيات الطبيعية والثقافية، السياسية منها والاجتماعية والأدبية، كما تظهر فيها الكثير من التناصات الأدبية، ذلك أن كل النصوص تستند في بنائها إلى ثقافة المبدع الفكرية واللغوية، وذاكرته التي تحمل في براحها محمولات ثقافية كبرى تشكلت عبر التاريخ الفكري للمبدع. وحيث إنه لا يمكن بحال من الأحوال الكشف عن كل صور التفاعل والتناص وسبر أغوار الذاكرة الإبداعية بكامل تفاصيلها؛ فإنني سأقتصر على كشف التفاعل مع الأبنية الثقافية عبر التناص وسأتعاطى مع الرواية على أنها فضاء أدبي تتقاطع فيه العديد من النصوص وهذا ما ستكشف عنها المباحث الآتية.

ثانياً: شعرية اللغة الروائية:

2-1- شعرية العتبات النصية:

تشمل العتبات النصية كما حددها جيرار جينيت " العناوين والعناوين الفرعية، والتصديرات والهوامش والمداخل والملاحق والإهداءات والغلاف وكلمات الناشر " (جينيت، طروس الأدب على الأدب، ضمن كتاب آفاق التناصية، ص242)، وتسهم هذه العناصر في فك شفرات النص، والكشف عن علاقته بغيره من المرجعيات النصية.

ويعد العنوان أول مثير سيميائي في النص، وهو المحطة الأولى التي ينبغي للقارئ الوقوف في محرابها؛ ليتسنى له ولوج عوالم النص.

تظهر رواية ربيع الكورونا بحلتها الخضراء المزهرة في صفحة الغلاف، وللون الأخضر إشارياته الدالة على النماء والأمل والتقاؤل فهو لون طبيعي وقريب إلى الروح، (انظر: فاتن عبد الجبارص، 91)، الأمر الذي ينعكس -شفيهاً على مضمون الرواية- حيث يسودها الحب والمشاعر الجميلة -التي لا تخلو من بعض الصقيع المتمثل في الفتن والخوف من الفراق. ويظهر العنوان في شكل شبه جملة من مضاف ومضاف إليه، يوحى بالتذبذب في العلاقات، ويشيد بتمسك المحبوب بمحبوبته، والوطن بأبنائه والحلم بالواقع. كما تم الجمع بين المتناقضات في العنوان حيث لفظة الربيع توحى بالبهجة ومعانقة الحياة، في حين تثير كلمة الكورونا مشاعر التوجس من خلال الخوف من الموت والفراق -الأنبي أو البعيد- ذلك الجمع الذي يعكس صراع البقاء مع الفناء، والألم مع الأمل.

وينعكس العنوان بشكل لافت في ثنايا الرواية فنجد الكاتب يقول: " لن تكون للربيع صورة أخرى غير صورته التي عرفناها من خلال الطبيعة، كما صورها لنا الشاعر البحتري، بقوله:

"أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما ويورد ستة أبيات من القصيدة مستشهدا بها على جمال الزمن الذي جمع (عمر) بـ (ألفة) مردفاً بقوله:

- "أجمل بشعر البحري! ما أروع هذه القصيدة!!"

-مهما واجهنا من مصاعب، لا بد أن ترينا الدنيا وجهها الآخر المشرق، كما يرينا الربيع جمال أزهاره، رغم الرياح العاتية" (رشراش، ربيع الكورونا، ص104).

ولم يكتفِ الكاتب بالاستشهاد بأبيات البحري، بل يعمل على التناص معها بأبيات منه يصور فيها جمال الربيع بمزجه بالحب، ويجعل فيها (ألفة) كأنها عشتار سيدة الربيع والطبيعة، فيقول:

"ابتسمي

ليزهو الكون

وينمو الزرع

وتثمر أشجار الزيتون

وتزهو أزهار الليمون

(...)

من مبسمك تثير الدنيا

وتحيي الأرض

بسمتك

هي وحي الكون" (رشراش، ربيع الكورونا، ص 105، 106)

استمد الشاعر صورة الطبيعة من مرجعياتها الطبيعية والثقافية ومزج بين الطبيعة والاسطورة، وبين الشعري والسردى بطريقة لافتة جميلة.

يظهر انعكاس العنوان في موضع آخر من الرواية يقول فيه الكاتب:

"حاولت أن أتجاهلها، لكن يبدو أن خطباً ما أصابني؛ وكأن إحصاراً مدوّياً رمى بها في طريقي،

وأن ريحاً صرصراً اقتلعتها من جذورها وقذفتها على أعتاب ناظري، أو أن ثورة حمقاء بعثرت

أوراقها فجعلتها ربيع قلبي" (رشراش، ربيع الكورونا، ص40)، يرمز الكاتب هنا إلى وباء الكورونا

بالإحصار والريح الصرصر -وهو وصف قرآني المنشأ-، ويشير إلى ثورات الربيع العربي

وكأنها هي الريح والإحصار، في حين يكشف وصف المحبوبة بربيع القلب عن التفاعل الذي

قصده الكاتب منذ العنوان حيث جعلها الملاذ و الملجأ، وأنها أجمل ما حصل في ذلك الزمن،

زمن الكورونا وثورات الربيع العربي وكأنه انتزع لها ذلك الوصف -وصف الربيع- انتزاعاً من بين براثن الحروب والوباء.

وهكذا تتجلى أولى علائق التفاعل بين النصي والطبيعي، وبين ثقافة الحرب والسفر والوباء مع ذائقة الكاتب الأدبية والشعرية والتصويرية في وصفه وإنتاجه للمعني بجمال يضاها جمال الربيع.

كما تظهر شعرية الإهداء في اقتضابه واقتضاره على سطر واحد مكثف وجهه الكاتب إلى (كل من يؤمن بأن الربيع لا يكون إلا مزهراً) حيث ربط -باختزال- بين جمال الربيع وجمال الإيمان وحقيقة الحياة والوجود، ولم يجعله إلا مسألة تتعلق بالقلب وتتوط به، كما جمع فيه الربيع بالكورونا مرة ثانية، وهو توالد آخر للعنوان في المتن والعتبات تحديداً.

أما العتبة الرابعة فهي الشكر والتقدير، وقد جعل الكاتب كلمة (عرفان) عنواناً لها، وأكد أزعم أن الكاتب فضّلها على عبارة الشكر والتقدير التقليدية لما فيها -كلمة عرفان- من تناص تحريفي (يعتمد على الحروف، انظر، مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص125) مع عنوان الرواية، حيث حرف العين يتناسل مع كلمة ربيع ويرتبط بها، وحرف النون يتناسل من كلمة كورونا ويرتبط بها أيضاً.

لا تخلو سطور العرفان من بناء شعري متناسق يظهر في توازي الجمل في قوله: "ما كان لمبدع أن يبدع، ولا لناجح أن ينجح (...)، شريكة حياتي وسيدة قلبي" (رشراش ص31).

وقوله: "المفتاح لقراءتها، والمنفذ لنقدها، والمدخل لدراستها، (...) بوحها الشعري، وعطر حضورها البهي" (الرواية، ص32).

كما صدر الكاتب كل فصل من فصول الرواية بعبارة شعرية مقتبسة تجمع أغلبها بين دلالة الربيع ودلالة الخطر المتمثلة في الوباء بذكر متعلقاته؛ حيث جمع في تصدير الفصل الأول بين خطر الشوك وزهور السلام في عبارة لشكسبير، وفي تصدير الفصل الثاني جمع بين الشتاء والربيع، والفجر والليل، وجمع بين الإنسان والحلم ونفى الإنسانية عنه إذا مات الحلم في تصديره للفصل الثالث.

وللهوامش دور كبير في إظهار التفاعل بين النص وخلفياته الثقافية والشعبية، حيث نجد فيه تفسيرات لبعض ما ورد في المتن من مفردات وألفاظ قد لا يفهمها القارئ مثل بعض الأكلات أو الأماكن، وقد تم ذلك بعبارة شعرية مؤثرة.

## 2-2- شعرية اللغة (السرد التلفظي):

تتماز رواية ربيع الكورونا بلغة إبداعية شعرية تصويرية بالغة التأثير في المتلقي، حيث يجد القارئ نفسه مأسوراً بعبارات شعرية ماهرة بجمال الوصف والتعبير، والجمع بين عناصر الإيقاع المتعددة في جلّ صفحات الرواية. فنجد التشبيهات والاستعارات وغيرها من فنون البيان، والبديع المحملة بطاقات تخيلية ورمزية، ومنها على سبيل التنويه، التشبيه في قوله:

"فقط قلبي، كما ينط الضفدع من اليابسة إلى بركة الماء، وأشرق أسارير وجهي، كما تشرق شمس الأصيل، وغمرني الفرح والسرور، كما تغمر الأم ابنها الرضيع .." (الرواية، ص 40).

ويظهر الإبداع الوصفي المفعم بالشعرية في وصف بطلة الرواية بقوله: " فجأة ساقها القدر أمام ناظري؛ فوقعت عيناها عليها، وقد سطع نورها، وأشرقت بهجتها، وراقت نضارتها، وتألقت حسناتها فحصل لقاء ودود، قادت خُطاه صدفةً عجيبة. . كانت فتاة حسناء، هيفاء، تكسو وجنتيها حمرة كشقائق النعمان، فبدت لي وكأنها من فصيلة الورد، حلوة القدر، متوسطة القامة، معتدلة الوزن، رياء المعاصم، عبلة الساعدين، يغلب عليها الهدوء والوداعة، تجملها الحشمة، ويزينها الخجل، تبدو زاهية كفراشة الربيع..."(رشراش، ربيع الكورونا، ص 39).

كما يظهر السرد بطريقة الجمل المتوازية محدثاً تناغماً غنّاء بين الشعري والسرد بلغة فخمة جزلة في قوله:

" ذات ضحى يوم صيفي قانط، تتضرمّ هواجره، وتتحرقّ لوافحه، وتتلهبّ مقايظه، برزت فيه الشمس من حجابها، وحسرت من قناعها" (الرواية، ص 123)، يذكرنا هذا الوصف بفخامة خطب الجاهلية وعصر صدر الإسلام، كما يستحضر فخامة مطالع القصائد التقليدية من خلال تشخيص الطبيعة، اليوم والشمس، وبيان سطوة الزمن، وهي صورة موجودة في الشعر قديماً.

وقد أطررت العبارات السردية التي تشخص المعنويات في الرواية، ومنها قوله:

" فكاد قلبي ينفطر من التوتر، لولا نظرة أستاذي المشرف المكسوة بالابتسامة المشفوعة بهزة الرأس، بعثت الطمأنينة في قلبي بعض الشيء" (الرواية، ص 34).

وكذلك قوله على لسان (ألفة): " لا أدري إن كنتُ أشبهك، أو كنت تشبهني، ما أدركه هو أن كلينا يشبه الآخر" (الرواية، ص 120) في العبارة إيقاع شعري يتمثل في إيقاع الأفكار المتناغمة، والمفارقة بين لا (أدري) و (أدرك)، والتكرار في (يشبهني أشبهك ويشبه).

وأكثر ما تظهر براعة الكاتب في المزج بين السردى والشعري تلك التجليات الشعرية التي نلمحها في المقتطفات الشعرية التي يسندها الكاتب للبطل (عمر) سواء أكانت قصائد أم نُبذ وخواطر، ومنها:

"ثم أردفتُ قائلاً:

-مالك يا وطني، مع بزوغ كل فجر، وبإشراق كل شمس، وفي ميلاد كل يوم جديد؛ أراك تنبذ الحرية، وترتمي في أحضان المارقين" (الرواية، ص 139)، تظهر في القول السابق شعرية التساؤل، حيث يتعجب الكاتب من ثبات الوطن في ظل الفوضى والاستعباد، كما يظهر في العبارة إيقاع حوارى يرتقى بالوطن إلى قيمته العليا، ويضمّر عبر ذلك الحوار تقاؤلاً بالتغيير والتحرر يرجوه مع إشراق شمس كل يوم.

يضمّن الكاتب روايته -في الفصل الثالث تحديداً- أشعاراً من تأليفه تحقق مدى التناغم بين السرد والشعر، إذ تبرز في صورة شهادة تدعم فكرته عن الوطنية وتعالج الاغتراب النفسى الذي يعانىه الكاتب والمواطن الليبي على السواء، ومنها قوله في نص شعري بعنوان "وداعاً ليبيا":

"بنفسى نجوتُ من بلد الجحيم      ومن ظلم المُرّائى واللّئيم  
وساجدة لربي في كلّ وقتٍ      بأن يؤتيني من فضل النّعيم  
ترأى الموتُ لي في كلّ يومٍ      ومدرستي تهاوتُ كالهشيم  
وأدّتم كلّ أحلامي وجيلي      فصرنا من كثيرات الكُوم" (الرواية، ص 140)

إلى آخر القصيدة التي صاغها على لسان طفلة مهجرة تعاتب شعبها، عرض عبرها صورة التخادل الذي وصل إليه العرب جراء الاستعمار.

يلي هذه القصيدة نص آخر من الشعر هو من قصيدة التفعيلة واختار لها الشاعر المجال الرومانسي قائلاً:

"أيتها القديسة!

بحضورك

اكتسى المكان رهبةً

تدحرجتُ مشاعري أمامك

كالبساطِ الأحمر؛

إجلالاً لهبيتك

غرستُ المسافة

بيننا فرحاً



اقتلعتني من جُدوري

تسللت إليك جهاراً

بعبث طفولي

(...) (الرواية، ص 141)

يليه نص آخر بعنوان امرأة من مشاعر، يقول فيه:

"سيده النساء!

امرأة من مشاعر

أبراج من إباء

جبال من كبرياء

تنبت في صحراء قلبي

كشجرة البلوط

(...) (الرواية، ص 143)

وله قصيدة أخرى رومانسية من عشرين بيتاً على نظام الشطرين يقول فيها:

"وحيث في محراب العشق يؤنسني طيف الهوى ولباس الحزن والسقم

مُنذُ التقينا وناز الوجد في كبدي موقودة بلهيب الشوق تضطرر

القلب موجوع والعقل مشغول والوح عاشقة والفكر مزدحم

أرنو إليك بعين القلب لا البصر طفل هوائي وإن قد شابني الهرم

(الرواية، ص 159).

هذه النصوص التي أسندها الكاتب للبطل (عمر) تحمل بوحاً عن تناغم الشعر -بشكله التقليدي

والتفعيلة- مع السرد ماحيين الفوارق، منصهرين في بوتقة الإبداع معبرين معاً عن البوح وبث

الاختلاجات التي تخرج بالقارئ عن وهم الفوارق المصطنعة.

### 2-3- شعرية التناص (السرد الثقافي):

التناص مصطلح متشعب من مصطلحات كبرى، ترجع في أصلها إلى مقولة جامعة هي

"النص، وقد عُرف التناص في الدراسات النقدية الحديثة بأنه المكوّن الأساسي للنص، ففي فضاء

النص تتعالق وتتقاطع العديد من الملفوظات المنتزعة من نصوص أخرى (انظر: كريستيفا، علم

النص، ص 21)، وتظهر في مساحته المفتوحة الكثير من الخلفيات الثقافية التي تبوح بتفاعل

النص مع ما حوله، سواء أكان ذلك الماحول نصوصاً مكتوبة أم مرجعيات مخزّنة في ذاكرة المبدع الطبيعية كانت أم نصية، مقروءة أو منظورة.

تظهر الكثير من المتناصات في الرواية -محل الدراسة- لعل أبرزها التناص مع القرآن الكريم الذي يمنح -بلا شك- الرواية جماليات تعبيرية تنقلها إلى فضاء رحب من الدلالة والتأثير. يقول الكاتب واصفاً شخصية العذول (نوفل) : "فإذا بشخص يعرضني، كان وجهه مسوداً وهو كظيم" (الرواية، ص99)

ويقول على لسان (نوفل) مخاطباً (عمر): " وكيف لا تعرف من قذفت بك الأقدار في طريقه؛ لكي تفسد حياته، وتسرق خطيبته؟ كأنك ساحر سخر الجن ليفرق بين المرء وزوجه!" (الرواية ص100).

ويقول على لسان (ألفة): "هل أوجست منه خيفة؟"

" هل تعتقد أن حياتي مع نوفل كانت رغداً؟ إنني عشتُ معه عيشةً ضنكاً طيلة فترة الخطوبة" (الرواية، ص103)

ويقول: " لكي يندم ابنك نوفل على فعلته، وينزع ما في قلبه من غل وكراهية" (الرواية، ص158).

وفي موضع آخر نجد الكاتب يسند الكثير من نعوت رمز الشيطان إلى شخصية (نوفل) على لسان (ألفة) فيقول:

" واغرب عن وجهي خاسئاً فقد أزلك الشيطان عني؛ فأخرجك من حياتي إلى الأبد، وضربك عليك الذلة والمسكنة، وبؤت بغضب الله ومقته" (الرواية، ص154).

ويقول سارداً صفات (نوفل):

" وأنه طوال فترة الخطوبة سامها سوء العذاب، وألبسها ثوب الحزن، ولم يعد له من خلاق (...)

بل هو من ظلم نفسه، وكسب سيئاته، وأحاطت به خطاياها، وأن في بعدها عنه المن والسلوى، ومن غيره ستكون عيشتها رغداً، بعدما كانت معه عيشة ضنكا" (الرواية، ص155)

لم يثر الكاتب سرده فقط بالتناص مع القرآن الكريم، بل نجده في شعره المبتوث في الفصل الأخير من الرواية يستلهم عبارات قرآنية فيقول مخاطباً طرابلس:

" خُذِي زِينَتِكَ  
تَجَهَّزِي  
الأبصار لكِ شاخصة" (الرواية، ص127-128)

وقد أسند لجائحة كورونا وصفاً منتزعاً من القرآن الكريم بقوله:

" إذ أتى على البشرية حين من الدهر، لم يكن بالحسبان، ولم يخطر ببال" (الرواية ص36) ويتابع:

"أصيب البشر في مختلف أنحاء العالم بالخوف والذعر، وتملّكهم الرعب والهلع، وانتابهم شعور بأنّ الأرض زلزلت زلزالها، وأخرجت أثقالها، فكانّ الصيحة ساعة النفخ في الصور قد أخذتهم..." (الرواية، ص37).

بإضافة إلى بعض التناصات التي تشغل مساحة لغوية أقل من سابقتها في النص، ومنها قوله:

"ترتدي سروالاً أصفر، وقميصاً أزرق، ومعطفاً أصفر، فاقعاً لونه" (الرواية، ص39). وقوله: "تنفّس الصباح".

إلى غير ذلك من استلهاام الكثير من مفردات القرآن الكريم وتراكيبه وجمله وصوره. فهو يجيد لعبة التناص، وتطعيم روايته بأوصاف مذهشة ومشاهد مثيرة تدخل بها عوالم أخّاذة، ونشّان قيم تأثيرية عليا لم تكن لتتحقق لولا التناص مع بعض آيات القرآن. ونجد في الرواية إشارات كثيرة للتراث، منها استشهاده بقصيدة الربيع للبحثري والتي سبقت الإشارة إليها في الصفحات السابقة.

كما نلمح تناصات عديدة مع الأمثال العربية، والشعبية الأمر الذي يعكس ثقافة الكاتب العميقة، ومقدرته على مزج الواقع بالتاريخ والفن، متجاوزاً الأزمنة والأمكنة، ومتعالياً بذلك عليها، فنجده يقول:

"وقالت لها أن ما حصل هو الشعرة التي قصمت ظهر البعير"

ويقول:

"لكن كان للقدر كلمة أخرى، فقد جرى بما لا أشتهي، ولا يشتهي أي إنسان" ويظهر التصوير الفولكلوري (الشعبي) في وصف بعض الأكلات الشعبية الليبية والتونسية، وبعض الأمثال الشعبية الليبية كما في قوله:

" الحسنه تخص والسيئه تعم " (الرواية ص135) الأمر الذي يعكس ثقافة جمّة تجمع بين

المتشابهات والمتناقضات في خصمّ النص الواحد متحررة من وهم الفوارق والغرابه.

يتسامى النص الروائي في بعض الأحيان عن الواقع ليخلق في فضاءات الأسطورة ليضمن لنصه تحقيق قيم جمالية أكبر ومساحات من التأثير أعمق، فنجده يقول على لسان (ألفه) وهي تطلب من (عمر) بوحاً شعرياً:

" هل تتواضع، وتنزل من برجك العاجي؛ لتتفضل علينا بالمشاركة في أمسية شعرية؟" (الرواية ص138).

وكانه يضع نفسه موضع أبولو (إله الشعر عند الإغريق) فالبرج العاجي هو رمز لقداسة المكان والمنزلة.

وفي قوله: " اقتربت مني فتاة عشرينية، قالت لي إنَّها طلبت سيارة الإسعاف، وهي على وشك الوصول، ثم خلعت وشاحها من على رأسها وربطت به الجراح بقوة" (الرواية ص 148)، يظهر دور الآسية التي أنقذت حياته وهي أنثى، وخلع الوشاح يشير إلى خلع ما هو مادي والاهتمام بما هو أعمق، بالحياة والأمل، وهي خيالات تتلامس مع الأسطورة حيث تحضر فينوس (آلهة الحب والجمال) مع كل رمز أنثوي في النص.

وتظهر في الرواية تضمينات لبعض النصوص على سبيل الاستشهاد، ومنها تضمين

الكاتب لمقولة للكاتبة التونسية (ألفة يوسف) على لسان (ألفة) بطلة الرواية:

"إذا كنت ستكتب مفكراً في من سيقراً، وإذا كنت تحبّ منتظراً من يحبك، وإذا كنت ستحيا محدقاً فيمن سيثني عليك؛ فلن تكتب، ولن تحب، ولن تحيا.. كن صادقاً فقط، وستجد إلى قلوب الصادقين سبيلاً" ..

وهذا الاقتباس هو خلاصة الأوجاع والأهداف، وحصيلة ما تمخضت عنه فكرة الرواية.

وعلى الرغم من الحضور الفاعل للتناص القرآني والتراثي، فإن للأماكن حضورها التناصي الفاعل في النص الروائي؛ حيث يعقد الكاتب توأمة بين أماكن واقعية في ليبيا وأخرى في تونس مفضلاً القول في وصف بعض الشوارع، والمقاهي، وذكر أسمائها، والأماكن السياحية التي يتساكن فيها الناس محدثاً نوعاً من التفاعل الذي يعكس شيئاً من التشابه في العادات والتقاليد. كما أن بعض الأماكن الواردة في الرواية تظهر في شكل أيقونة مسكونة بالحب مثل المطار (مطار بكين) الذي يمثل نقطة الانطلاق لقصة الحب بين (عمر) و(ألفة)، والمستشفى الذي جمعها بعد فراق كاد أن يكون محتمماً، هذه الأماكن لعبت دورها التفاعلي في عرض الأحداث، وأسهمت في تأطير التفاعل بين الحبيبين من جهة، والحب والوباء من جهة أخرى.

### تركيب ونتائج:

- وبعد هذا الطرح والمعينة لبعض الجوانب الإبداعية والفنية في رواية ربيع الكورونا، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها:
- 1- إن الحب -بوصفه قيمة فنية عليا- عالمي في كل مكان، كما أن الوباء عالمي أيضا، يجتاحان الذات دون هوادة، فيمحصانها ويظهران أجمل ما عندها.
  - 2- تزخر رواية ربيع الكورونا بالعديد من التفاعلات الإنسانية، والطبيعية، والثقافية، والنصية التي أسهمت بشكل لافت في إنتاجها، وعكست تفاعل الذات مع الموضوع من جهة، والذات مع الآخر من جهة أخرى، سواء أكان ذلك الآخر أشخاصاً أم أحداثاً أم أزمنة وأمكناً أم نصوصاً، فقد أنتجت في ظروف هيأت لها أن تكون عالمية المحتوى والتأثير.
  - 3- لا يمكن بأي حال من الأحوال للنص أن يُنتج بمعزل عن التفاعل مع غيره.
  - 4- يشترك النثري (السردى) والشعري في بناء رواية ربيع الكورونا وإنتاج دلالتها، فقد ظهرت فيها العديد من التفاعلات بين الشعري والسردى، فهي وليدة ذات شاعرة وروائية، تمتلك المقدرات الفنية اللازمة لبناء النص السردى، كما تمتلك زمام تطعيمه بما هو شعري استشهدا، وتضمينا، وتناصاً خفياً وجلياً على حد سواء.
  - 5- بدأت الرواية بتصوير شخصية البطل (عمر) ساردا وانتهت بتصويره شاعراً؛ وهي بهذا الجمع تجسد تفاعل الشعري والسردى وتلازمهما، كما أن الشخصية -بهذا الجمع- تلامس تخوم شخصية الشعراء الفرسان الذين يسطرون بطولاتهم في الحرب حباً وشعراً.

### المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 1- أحمد الهادي رشاش: ربيع الكورونا، رواية، منشورات ابن عربي، تونس، 2020.
- 2- بسام قطوس: استراتيجيات القراءة: التأسيس والإجراء النقدي، مؤسسة حمادة ودار الكندي، اربد، 1998.

- 3- جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، الدار البيضاء، توبقال، ط1، 1991.
- 4- جون كوين: بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، دار المعارف، مصر، ط3، 1993.
- 5- جيرار جينيت: طروس الأدب على الأدب، ضمن كتاب آفاق التناسلية، ترجمة: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط10، 1998.
- 6- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر/محمود محمد شاکر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ط3، 1992.
- 7- علاء عبد الهادي: قصيدة النثر والتفات النوع، دار العلم والإيمان، كفر الشيخ، ط1، 2009.
- 8- فانتن عبد الجبار: اللون لعبة سيميائية، بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2009-2010.
- 9- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط3، 1992.
- 10- مهدي صلاح الجويدي: الخطاب الشعري وتفاعل الأبنية الثقافية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2013.